نحو تجديد الفكر القومي

مقولات القائد الدكتور رفعت الاسد

- تتساءلون عن الكلي المجهول، وعن الغيب، وما في العقول لدرك المعارف، وموضوع الحقيقة، وحال الحامل والمحمول، في مشهد الممكن والمأمول. إن في ذلك نفعاً، إن كنتم بالله لا تشركون، وللقومية صائرون، تساءلون بالعدل والسلام والحرية.

- القومية قلب الآدمية النابض، وإنسانها الجميل، وفردوس المؤمنين، وتلكم هي قوميتنا في رحاب الخالق خالدة آمنة.

- وحسبك بالعدل والسلام والحرية إن تمت كلمة حق عربية تصبو للإيمان والعدالة القومية، وسطية تنأى عن الهوى بالحرية، وسلام عوذه الإيمان بالله وقضية منواعها جامعة إنسانية، تؤسس لإسهامات حضارية أركانها قيم تتسامى في الحب والجمال والأزلية.

- هو السلام ما كنا، ولم نزل، وما إليه لصائرون، من آدم حيوية وسطى، رقيها إيماننا بالله والقومية.

- أما والحرية، صدق، والجمال، جوهر، والإيمان، إبداع، والقومية انتماء، فالمحبة وحدها، وجه الله والآدمية.

- تتسامى إبداعات الحرية، إنما ترسم مشهداً قيمياً يصلنا بالله والقومية.

- يقترب المعلوم، ويتقرب، انعطافاً، من مجهولٍ عزيزٍ بذاتهِ، خلفيته الحب، وخفقة القلب، ودرك اللب بفوديه، والعشق بما لديه، في رحلة الإيمان، حيث الزمن القومي وجه الله والآدمية.

- صيروا إلى آدم، تلك الشجرة التي كانت قدراً فحلت قضاءً، ووعياً، وأذنوا للحرية. وهاكم اسمكم قوميون تبنون التقدم والتطور جسراً بعيد جسر تعبرها أجيال مؤمنة ويمده الله مداً.

- أهب الله لكم القومية حصناً، وكنتم أملاً، وأمناً. فعودوا إلى ما هجرتم، وهبوا إلى حيث استودعتم، وانظروا أمامكم، وكونوا للشكيمة مأوى، وللعزيمة شأواً، ولا تفرقوا، فتذهب ريحكم، وليبلونكم الله بما فعلتم، وما أنتم عليه، وما له لصائرون.

- وما الخلود القومي غير ما يجوب في ثنيات إحساساتنا، من طاقات روحية، تترفق بنا إلى جماليات كونية، نلامس من خلالها أزلية الوجود، وتحولاته، وعبقرية الإيمان بالله، ووحدانيته، والفقه في الدين، ومذاهبه، تلكم السبيل لاستبانة العدل والسلام والحرية.

- إن المعلوم الذي يأخذ في وظيفته التناقضية إنتاج الحاجة المضافة من المجهول الممكن، ليس غير متوالية تصير الزمن هدفاً لها في نهاية تقترب فيها المجاهيل من بعضها، حتى يصبح المعلوم، موضوع ،إدراكٍ جدليٍ، وحسٍ لحظيٍ، في معايرة الطاقة الإيمانية التي تربط ما بين الوجود ونقيضه، وصولاً إلى الوجه القومي في العدل والسلام والحرية.

- وما كنتم، هو ما اتفقتم عليه، وما كنتم إلا أمة أنزلت للناس جميعاً، تخط بالقدر القومي وجودها، وإيمانها بالآدمية سبيلاً للحق والخلود.

- تتوافق مصالح الأعداء وتتناقض، فإذا أبصرت نافذة ضوء فاعبر منها إلى الحرية، ولا تتردد، وحطم قيود الديكتاتورية وأغلالها، تلك التي تمثل سيف القهر، وقبضة العدو.

- وسيسألونك لماذا الآن؟ وبإذنهم نقول: لا بد أن نعرف أن استحضار الذات لمقاومة الألم هو من الطبيعية، في المكان والزمان، ما يرقى سقف الحصانة الوطنية.

- إن ما تقتضيه مصلحة العدو يتطلب، بالضرورة، قبول الهزيمة قبل وقوعها، وان الحرب، المعلنة، على أمتنا، هي حرب مدججة، بمعايير أخلاقية، وحضارية، تتقدمها الحرية، التي نفتقر إليها، ونحتاج إلى ممارستها، لتخليق إرادة الأمة العربية، في الصمود، والانتصار.

- وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله، حيث أمة سلبت حقوقها، ووطن مزقت أوصاله، وقومية نحملها خشبة نجاة، من القهر والموت والعبودية.

- فقاعدة الإجماع، التي لا تنتج الحقيقة، الكاملة، تتجاهل طبيعة هذه الحقيقة، التي عشعش في ثنيات الحرية لتشكل بعدها الحيوي. وجنيها يقضي، بالضرورة، خلق مجتمع ديمقراطي يدفع باتجاهٍ جوهرٍ أخلاقي، ينمو بالتوازي مع القدرة على تشييع الاختلاف، في الحجة، والموقف.

- من أحسن حالات الديكتاتورية تحويل الدولةِ الوطنيةِ إلى دولةٍ وهميةٍ.

- وما استبدال ممارسة الحرية غير فاحشةٍ، كبرى، وإثمٍ عظيمٍ.

- لا وطن بغير الحرية، ولا حرية مع الديكتاتورية.

- لقد سبق الوجود ما عرفناه، وما كان، وهماً، بل صدقاً، وعدلاً.

- ليس من الصعب رسم سقفٍ للحريةِ، ولكن من الصعب، والمستحيل معايرة ذلك السقف وتحديد أبعاده.
- وتجدهم في متحف السلطة أصناماً، تكاد تحسبهم بشراً، يميزهم لون الكفر والمروق، وبين أيديهم مواطنون، لا دولة لهم، ولا وطن لهم؟، ومثقفون كتبة، هم أسوأ دوراً من ثالوث الفردية، والجهل، والاحتلال، وثالوث القهر، والظلم، والاغتصاب.

- ليست الحرية غير ما نحسه من موضوعية الوجود، ووعي الإرادة، والضدية في الجدل،كخيارٍ مستمرٍ لبحث حقيقة السلام ووحدة الإيمان بالله وعدالة المصيرالقومي.

- للسلام بعد حيوي تستوقفه الحروب لكنها ليست نقيضه، يتصدى للفوضى، ويغيبه الإلحاد بالله، وبالآدمية القومية.

- ذلك الذي يتفاقم، حولنا، ويتشظى فوق رؤوسنا، وبآماد حيوية، يبوح ببعث أمتنا العربية، ويستدرك أن الحياة للحياة، وأن استقراراً يجر معه ذيول الويل والدمار، إن هو إلا فعل عدوٍ غادرٍ، وغاشمٍ، يجد الخطى للانقضاض على وجودنا القومي، وقتل الذات الخالدة في أمتنا العربية.

- على أن ما نتلمسه، ونتبصر ظله، ونتخيل ما بعده، ونتأمل صوره، غير كيانٍ قوميٍ، يتحرك في الأمة، لا يسألها عن لونٍ، وعرقٍ، أو شكلٍ ذي فرقٍ، يميزه ميلٌ إلى الجمالِ،وإيمانٌ باللهِ، ورسلهِ، وعشقٌ للحياةِ والخلقِ. هو كالرعودِ والعواصف والزلازل والبرق، في مثله نتساكن، ومثله الحق، دليلنا للعدل والسلام والحرية.

- ليس من العدل أن نكون دولةً قطريةً تقول بالإيمان، دون الإعتراف بخلق الله.
ليس من العدل أن نكونَ دولةً قطريةً وطنيةً، ولا وطن،
ليس من العدل أن نكون دولةً قطريةً متطورةً، على حساب الأمة القومية،
بل العدل أن نكون أمةً قوميةً تحمل رسالتها الخالدة، في الإيمان، والجمال، إلى الإنسانية حيث دورها في العدل والسلام والحرية.

- أولئك الذين يجادلونك في القومية، تخالهم يحدثونك عن سلوكٍ بديلٍ لقوانين الوجود، وظواهر الطبيعة، وأحداث التاريخ، كمتتالية التطور، وموضوعية المصير القومي، قدراً تخطه الأمة، ولا تتخطاه، إيماناً منها بحتمية العلاقة الموضوعية بين الوعي، واللاوعي في دائرة الحياة وصيرورتها.

- من بوابات الفجر ما نحن، وما كنا إلا أمةً. قوماً جئنا، وعرباً صرنا، ومن علمٍ أسطوريٍ نتحدر، وفي رسمٍ نظريٍ نتطور. ننطلق في أنساقٍ حيويةٍ، ليس فيها مسلماتٍ تخريفيةٍ إلى ميادين التحديات الجدلية، مستشرفين آفاق المجهول، وما نحسه من علومٍ يقينيةٍ، طاقتها طاقة الإيمان كله بالله، وبالقومية في سفر الخلود، ورحلة العدل والسلام والحرية.

- ولعل بعض من ألحد بالقومية، وأقام عليها البدعة، وكره أن يجعل لعدوها علة، وللمناهضين لها ذلة، وأسدل الستار على خياله، وابتعد عن التأمل والتدقيق، وإبصار التخليق، ليعيش التحولات الكونية، دون تمييز، للطبيعي عن غيره، فلا يعي عبقرية الإيمان، وإبداعات الجمال، حيث يقف الجميع من ذات المسافة من أقدارهم في النهوض بالحرية والإخاء والسلام.

- إن الأمة التي يمكنها أن تغرق بالماء، لا تستطيع أن تعيش بدونه، ومثله القومية.

- لا توقظ الماضي. فمنه الجاهلية موروثاً ينتج ذاته، في قنوات شعوبية،عبر تراثٍ قوميٍ،ما كان لشعلته أن تخبو لو آمنا بالله، وبعدالة قضيتنا، طريقاً للنهضة، بالعدل والسلام والحرية.

- وتتسامى قيم مثلى للعدالة والحرية والسلام، ويتعاظم موروثٌ قوميٌ كسياجٍ للأمة، زمن تحولاتها، ولتحصينها من الطامعين، والمنقضين جهارةً على وجودها، وبين أيديهم ثقافاتهم التبريرية التي تتجاهل أزلية الخطاب القومي، غير مبالية بالمصيرالكلي حيث لا عولمة، ولا كونية، بل عدل وسلام وحرية.

- حيث نكون، نرى لون الدم، المراق، قرص شمس، ساطعة، تبشر بولادة فجر للحرية، وبانتصار أمة، تترى معاركها، لترتفع راية القومية العربية، في التوحد، والصمود، والانتصار.

- يوم لا نملك تشريعاً للاستكانة والذلة، نتيح للحقيقة وعي ذاتها إطار لحيوية، تؤكد مكمن القوة، في تناقضية الاستقامة، والانحراف، واحتمالات، الفقه، والسلوك، وتوق المتغيرات لثوابتها، والخط المقارب، لمستقيمه، في معادلة قيمية تأخذ في مسؤوليتها بزوغ فجرقومي، يحقق العدل، والحرية، والسلام.

- لن نقول شيئاً نختلف فيه، لكن ثمة دعوةً، خالصةً، إلى مواجهةٍ عادلةٍ، وقضاءٍ حرٍ، رجاله يلمون بتراثنا القومي، مدركون لطبيعة الصراع، وعناصر القهر عصية على الفهم على شعبنا وهو يواجه مثل تلك التحديات، حيث لا وحدة، ولا حرية. وما السعي إليهما إلا خطوط حمراء من تجاوزها، واجه أعداء الأمة المتوحدين على كلمة سواء، المالكين لما لدينا من التعصب، والجهل، وأسلحة، فتك، يقتلون بها نقاط علام، تشكل الدليل، الأهم، في اليقظة والمقاومة. ولسنا في صدد أن نلتقي على نهجٍ من الافتراض التشكيكي الذي لا يستثني مقدساتنا التي نقتات منها، وفيها تعشعش أحلامنا في العدل ،السلام، والحرية.

- وحسبك أن الحرية، صدقٌ، وجمالٌ، وإيمانٌ بالله، وبالآدمية القومية.

- إن الطاقة الكامنة في محيط أمتنا، وأعاقها التاريخية، تشكل القوة الأكثر أهمية في مسح الصراع الكوني. وتلك حقيقةٌ علميةٌ تأخذ طريقها لتحقيق الحرية، والوحدة، والانتصار.

- ليس من قدراتنا التوقف عند –الضحية- الكيانات القطرية، كما لو كانت وطناً. فالوطن أمةٌ، والأمةُ الوطنيةُ هي التي تملك دليلها النظري، الذي يسهم في رسم بنائها التحرري ويستحضر الذات الحضارية، والروح القومية الخالدة، التي تنطلق بالعدالة، والحرية، والديمقراطية.

- تلك أمة تترامى أطرافها، يمزقها ذئبٌ غادرٌ طامعٌ، وحاكمٌ قامعٌ، خانعٌ، وجهلٌ فينا شائعٌ وتيهٌ في المعارف شاسعٌ، وما نحن إلا بشر، يستوطننا اليأس،ويسكنناخوف المجهول يجسد قدراً قومياً يلح في استحضار ذاته لخوض معركة المصير، في ثنائية الوجود واللاوجود، وبممكنات الأمة، في الحرية، تحقيقاً لحتمية المصير.

- تشهدالطاقةالقومية،الآن، اضمحلالاً،في العمل الوطني وانحلالاً،في الثروة الأطلاقية يجسدذلك،كله،سلطةغيرشرعية،من قبل الشعب ،إنهاسلطةالأمرالواقع إن هذه السلطة،المبتورة الجذور،لاتهدد قطراً،واحداً،وحسب،بل هي تهدد الأمة،بكاملها لأنها تخبط خبط عشواءلتصل إلى عدوانية ترى فيها ملاذها ،الذي تتشرنق فيه وتؤذي مابعده.

الدكتور رفعت الأسد

رئيس التجمع القومي الديمقراطي الموحد